مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية، المجلد السادس والعشرون، العدد الثاني، ص74– 124، يونيو2022
ISSN 2070 - 3147

ما تَبَقَّى من شِعْرِ ابن السَّرَّاج المَالَقِي
"جمع ودراسة "

د. محمد محجوب محمد عبد المجيد*

الملخص

ينهض هذا البحث بجمع ما توافر من شعر ابن السراج المالقي وتوثيقه ودراسته فنيًّا، وخلص إلى استفراغ معظم شعره في الخمر مع بعض لوحات الطبيعة فضلا عن المساجلات، تميزت لغته بالسلاسة والبساطة، وطابع من الحضارة والمدنية، وتمركز معجمه الشعري حول مفردات الخمر، مع حشد للصبغ البديعي. التزم بالعروض الخليلي مع حرص على إثراء الإيقاع الداخلي، أما صوره الفنية فطغت عليها الحسية، والتكثيف.

* أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها،كلية التربية، جامعة أم درمان الإسلامية(السودان)
البريد الإلكتروني: drmuh2011@yahoo.com

مقدمة:

ماكاد القرن الرابع الهجري ينصرم آخذا معه دولة الخلافة الأموية بالأندلس حتى أطلَّ القرن الخامس وهو يحمل عهدا جديدا ينذر بالضعف والتشرذم والانقسام، إنه عهد دولة ملوك الطوائف. في ظل هذه الأحداث أو قبلها بقليل ولد ابن السَّرَّاج المالقي، وعاش حياته كلها في ظل دولة بني حمُّود سادة مالقة. كان لابن السراج مكانة مرموقة في مجتمع مدينته، لكن- وللأسف الشديد- لم ينل حظه من اهتمام الباحثين المعاصرين، ولعل هذا مادفعني إلى جمع شعره من المظان المختلفة - بقدر ما تيسَّر لي- ودراسته دراسة فنية.

حياته :

هو أبو عبدالله محمد بن السَّرَّاج[1] المالقي نسبة لمدينة مالقة[2]، ولم يقع لنا اسم أبيه[3] كما يقول الحُمَيدي، وليس بأيدينا شيء عن تاريخ ميلاده أو أسرته أو مكانته الاجتماعية، وإن كنا نعتقد أنه وُلد في آواخر دولة الخلافة الأموية، أو بمعنى أكثر دقة في العقدين الأخيرين من القرن الرابع الهجري، والذي يدفعنا لهذا الاعتقاد أنه كان من مُدَّاح وزير دولة بني حمُّود بمالقة ابن بَقَنَّة [4]، فإذا كان ابن بقنة قد تبوأ كرسي الوزراة سنة 417هـ فالراجح أن موهبة صاحبنا- وقتئذ- نضجت، وطفق شاعرا فذا، وأنه قد تجاوز - في الغالب- العشرين أو ناهز الثلاثين.

كان ابن السراج من عامة أهل مالقة، ولا شك أنه اختلف -كعادة أهل الأندلس- إلى حلقات العلم لتلقف المعارف الأساسية، من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه المالكي، فضلا عن علوم العربية.

وبعد أن جرى نبع الشعر على لسانه وحذق نظمه وتنضيده، التحق كغيره من شعراء عصره المالقيين, أو غيرهم من شعراء الأمصار الأندلسية الأخرى بدولة بني حمود خاصا وزيرهم الأول ابن بَقَنَّة-كما مر سابقا- بمدائحه، أو ربما مدح الملك ذاته. ويبدو أنه لم يبق في ظلهم زمنا طويلا إذ نراه ينغمس في أتون من الخمر لا يكاد يخرج منه إلا ويعود إليه مرة ثانية. والحق أن أخبار ابن السراج ضنينة جدا مما يتعذر علينا أن نرسم له صورة واضحة المعالم، بينة القسمات، فلولا ماخطته يدا صديقه ابن الغليظ[5]لأصبح صاحبنا خامل الذكر منسي السيرة.

ويذكر ابن الغليظ أنه كلف بجارية اسمها"أزهر" [6]، وله فيها شعر[7]، كما كان يتعشق أخرى اسمها"حُسْنُ الورد"[8]، وكانت بينهما مراسلات، وله أيضا فيها شعر. ولا اعتقد أنه كان جادا في عشقه، فعلى غِرار عبثه وتهتكه في شرب الخمر كان عابثا مدعيا هوى الغيد الرعابيب. ويبدو أن عبثه استمر زمنا طويلا، فها هو يعابث جارية حسناء فيعترض طريقها، ويطلب منها باقلاء فتدفعه إليه بعد أن عيَّرته بأنه شيخ مُشَوَّه[9]. ونستخلص من هذه القصة استمراره على ضلاله القديم معاقرةً للخمر، ومعابثةً للغيد.

يمكننا أن نقول إن ابن السراج المالقي قضى حياته كلها غارقا في ملذاته، امتصاصا لرحيق الخمر، وابتهاجا بالطبيعة المتبرجة الجميلة، واستئناسا بصحبة أصدقائه المقربين، وفي كل يقول الشعر وينضده، وظل على هذه الشاكلة إلى أن بان عليه الضعف واستبدَّ به، فأجمل العمر قد مضى بلا رجعة، وقد أصبح عجوزا مشوها كما قالت له الجارية، بل شعر بأن الأيام خذلته لدرجة جعلته يندب حظه، فغيره- ممن هم دونه شاعرية- قد تبوأ المكانة السامية بينما هو مترددٍ في وهاد سحيقة:

مضي عُمُري والدَّهْرُ لي غيرُ مُنْصِفٍ يُكَلِّفني أشياءَ جَلَّتْ عن الأشْيَا[10]

ولو تَعْدِل الأيَّامُ في بَذْلِ خُطَّةٍ لما كُنْتُ في السُّفلى وغَيرِيَ في العُلْيا

ومثلما ليس لدينا تاريخ مولده كذلك حُجِب عنا تاريخ وفاته، لكن نقدر تقدير الظن أنه توفي في عهد دولة بني حمود، أو ربما بعد أن خبأت شمسهم بمالقة سنة 449هـ[11].

شخصيته:

لعل أهم صفة يمكن أن ننعت يها شخصية ابن السراج، هي الإدمان، فالخمر في حياته تتجاوز كونها محورا من محاور شعره، أو أفقا حلق فيه إلى قضية حياة بأكملها، فارتباطه بالخمر أشبه ما يكون بالارتباط العاطفي، لقد أحب الخمر لدرجة ملكت عليه أقطار قلبه كله، يقول ابن فضل الله العمري" كان أخا راح"[12]. إن معظم شعره الذي بين أيدينا مرتبط بالخمر، والقصص التي تروى عنه مرتبطة بقعدة للخمر، والمناسبات التي قال فيها الشعر مرتبطة بالخمر، فالخمر عنده أتون غرق فيه حتى شحمة أذنيه. فعندما أرسل له ابن الغليظ شعرا وجده الرسول سكران[13]، وعندما طالت به وبابن الغليظ أيام الشرب سأمها الجميع إلا صاحبنا[14]، وإذا استعفاه صحبه لكثرة ما شربوا لامهم وشرب وحده[15]، وإذا انكسر الكأس لم ينتظر كأسا جديدا[16]، بل لعق ما تبقى في الكأس المكسور، يقول ابن الغليظ" وكان يدمنه على ضعفه"[17]. ولعلنا نتساءل لماذا كان ابن السراج معاقرا للخمر مدمنا عليها، لا يكاد قدحها يفارقه، أو كأسها يبارحه؟

الحق أنَّا لا نجد في سيرته – لقلة الأخبار– ما يفسر لنا إدمانه. ولسنا هنا بصدد التماس العذر له، لكن من الواضح أن ثمَّة أسبابا قد تفسر إلى حدٍّ ما عكوفه

على الخمر، منها ماهو متعلق بطبيعة العصر"عصر الطوائف"الذي أظله، يقول هنري بيريس واصفا أهل الأندلس في عصر الشاعر"إنهم لايتحرجون من شربها "[18]، أو ربما بسبب طبيعة الحياة في مدينته مالقة، فالخمر كانت مبذولة فيها لدرجة كبيرة[19]، وكان أهلها يعنون بصنعها، بل بلغ الأمر بهم إلى جعلهم أياما للعصير- عصر العنب والتين- فضلا عن أن خمرهم كانت معروفة، يقول ابن سعيد"وخمر مالقة مشهورة بالأندلس مفضلة" [20]،أو ربما قد يكون إدمانه عليها بسبب أزمة نفسية أو عاطفية عصفت به، وأفقدته اتزانه الانفعالي فوجد في الخمر متنفسا لما يكظمه في نفسه. ومهما يكن الأمر فإن معرفة السبب أو الأسباب وراء إدمان صاحبنا أمر متعذر،لقلة الأخبار التي بين أيدينا، لكن مع ذلك حاولنا- جاهدين- إيجاد أسباب تفسر لنا هذا الإدمان.

صلاته بأعيان عصره:

من الواضح أن شاعرنا كان ذا علاقة بأعيان عصره لاسيما في مدينة مالقة التي كان يحكمها الحموديون، يقول ابن بسام(ت 542هـ)"محسن في أهل عصره معدود، وشاعر بني حمود، وله فيهم غير ما قصيد، ومقطوعات في النسيب، وجدتها بخط الأديب أبي الحسن بن الغليظ من أفق مالقة أيضا،صاحبه الكثير الاتصال به والمنادمة له"[21]، ويقول الحميدي(ت 488هـ)" ورأيت له أشعارا في ذي الوزارتين أبي جعفر أحمد بن بَقَنَّة وزير دولة العلويين من بني حمود"[22] . لعل من الأفضل أن نناقش هذين القولين بغية الوصول إلى الحقيقة.

يبدو لي أن وصف ابن بسام لصاحبنا بأنه شاعر بني حمود ليس دقيقا . فلو كان شاعر دولة الحموديين -كما يقول- لاحتفظ لنا بشيء مما قاله، فهل يعقل أن يكون شعره في الحموديين كله قد سقط من يد الزمان ولم يبق منه نزر يسير . ونزداد استغرابا من ابن بسام إذ وجدناه يذكر في ذخيرته مدائح قيلت في بني حمود

من شعراء طارئيين على مالقة، على شاكلة، ابن شُهَيد[23]وعبادة بن ماء السماء[24]، بينما يهمل ابن المدينة ابن السراج.

أما الحُمَيدي فكان أكثر ثقة وأشد ضبطا، فقد رأى بأم عيني رأسه مدائحه في وزير بني حمُّود الأول ابن بقنة. وحقا أنه لم يذكر له غير بيت يتيم- لأن طبيعة كتابه-كما يقول- قائمة على جمع أسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر"[25]. نحن إذا نطمئن تمام الاطمئنان لما قاله الحميدي، ففضلا عن تأكيد رؤيته البصرية لشعر ابن السراج في ابن بقنة، كان هو أيضا أقرب المؤرخين من زمن ابن السراج.

ومهما يكن الأمر فابن السراج المالقي كان كغيره من الشعراء الذين تدفعهم الظروف، أو تضطرهم الحياة لمدح ملك أو وزير . ولا شك أنه مدح ابن بقنة وزير بني حمود[26]، وربما مدح بعض بني حمود لكن ليس لدرجة أن يكون شاعرهم - كما يفهم من كلام ابن بسام.

كان لابن السراج علاقات مع أدباء عصره،وعلى رأسهم الحسن بن الغليظ،راوية شعره وخدنه. ومن أصحابه أيضا الشاعر عبادة بن ماء السماء القرطبي، ويفهم من شعر بينهما أنهما كانا يحتسيان الخمر معا حتى إذا ارعوى ابن ماء السماء عمد ابن السراج وابن الغليظ إلى تحريضه للعودة إلى ما كان عليه [27]. وأغلب الظن أنه رأى أيضا ابن شُهَيد (382-425هـ) الأديب المعروف، وربما كانت بينهما مساجلات أو نقاش، والذي يدفعنا لهذا هو أن ابن شهيد جاء إلى مالقة سنة 417هـ، وعاش فيها زمنا، كما روى لصاحبنا شعرا، يقول الحميدي"وذكره أبو عامر بن شهيد- في الغالب في كتابه حانوت عطار[28] - مفضلا له، وأنشد مما استحسن من شعره"[29].

مكانته:

حظي ابن السراج بمكانة أثيرة عند القدماء، يقول الحميدي"شاعر أديب مشهور"[30]، ويقول ابن بسام"محسن في أهل عصره معدود"[31]، وأغلب الظن أن صاحب كتاب أدباء(أعلام) مالقة قد ذكره مع بلدييه المالقيين، لكن اسمه- كما يقول أستاذنا المرحوم إحسان عباس- سقط كغيره من الأسماء في النسخة التي وصلت إلينا[32]، ويؤكد ذلك قول المرحوم عبدالله المرابط الترغي- محقق كتاب أدباء مالقة -"إن ما بين أيدينا اليوم من كتاب أعلام مالقة لا يضم إلا أبعاضا من عمل ابن عسكر وابن خميس- مؤلفي الكتاب " [33] .

وتتعدى شهرته العدوة الأندلسية لتصل بلاد المشرق، فكان أن ترجم له ابن فضل الله العمري في "مسالك الأبصار" [34] والقفطي في كتابه "المحمدون من الشعراء"[35]، ويذكره ابن ظافر الأزدي في كتابه "بدائع البدائه"[36] ويستشهد بسرعة بديهته.

نستطيع أن نستخلص من الأخبار والأقوال التي مرَّ ذكرها أن ابن السراج كان شاعرا فذًّا، وصاحب موهبة، وقدرة على الارتجال وسرعة البديهة.

مصادر شعره وموضوعاته:

المصادر:

لم يذكر الذين ترجموا له أن له ديوان شعر، أو أنه عني بجمع شعره في حياته، لكن هذا لم يمنع معاصريه، أو من جاء من بعده من الاهتمام به، لا سيما من لدن بلدييه المالقيين، فقد ذكر ابن بسام(ت 524هـ)في ذخيرته أنه "وجد له شعرا بخط-بلديه وصديقه- ابن الغليظ"، وذكر أنه "[37]اختار منه بما يليق بشرط كتابه"[38] . ولعل قوله هذا يشي بأمرين، الأول: أن لصاحبنا شعرا كثيرا، بدليل أن ابن بسام اختار منه فقط مائة وتسعة بيتا , والثاني: جودته ، فقد خصه بكلمة متأنية في فصل "سمَّاه في ذكر الأديب أبي عبد الله بن السراج"، وأنه أراد كما

يقول"أن يربي– بما اختاره له ولغيره من شعراء الأندلس – على أهل المشرق"[39] . ومهما يكن الأمر فقد كان لابن بسام – ومن قبله ابن الغليظ– فضل كبير في حفظ شعر ابن السراج من الضياع .

لم يكن ابن بسام أول من ذكر ابن السراج، وأشاد به فقد سبقه الحميدي في جذوة المقتبس(ت 488هـ) لكن وللأسف الشديد لم يذكر له سوى بيت يتيم، ولعل هذا يعود لطبيعة كتابه، وتبعه أيضا الضبي(ت 599هـ) في بغية الملتمس، والقفطي(ت 646هـ) في كتابه (المحمدون وأشعارهم)فكررا البيت اليتيم الذي ذكره الحميدي من قبل. أما ابن سعيد الأندلسي(ت 685هـ) فقد ذكر له عشرة أبيات في كتابه المُغرب في حلى المغرب، وابن فضل العمري (ت 749هـ)أربعة أبيات في مسالك الأبصار، وذكر له ابن ظافر الأزدي بيتين في كتابه بدائع البدائه،وفي نفح الطيب للمقري(ت 1041هـ) له ستة أبيات، والحق أن كل شعره الذي ورد في المغرب ومسالك الأبصار وبدائع البدائه ونفح الطيب كان نقلا عن صاحب الذخيرة. أما صاحب مختارات من الشعر المغربي والأندلسي(مؤلف مجهول) فقد انفرد بخمسة عشر بيتا عن كل من ترجم له. فكان المجموع مائة وخمسة وعشرين بيتا،كان لابن بسام الشنتريني الكثرة الكاثرة في جمعه والتعريف به.

موضوعاته:

أما شعره– الذي بين أيدينا– فيغلب عليه الخمر، وفيه نشعر بولع شديد لها، ونزعة أبيقورية عابثة، فهو يريدها صباحَ مساء حتى إذا انكسر كأسها ارتشف ما تبقى في الخزف المكسور(شقف)ريثما يَمُنّ عليه صديقه بكأس جديد:

بقينا بلا كأسٍ سوى شَقْفِ شَرْبَةٍ يُمِيتُ سُرورَ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ[40]

فَمُنَّ بكأسٍ يا فتى الفَتْكِ والذي مَضَى لي زَمَانٌ وَهْوَ فيه مُعَلِّمِي

ويجاري ابن السراج الذوق الأندلسي العام للأندلسيين إذ" يختار – مثلهم– الحدائق العامة والمياة الجارية إطارا لمتعته"[41]:

عليك سَلامُ اللهِ يا ماءَ مَوْضِعٍ شَرِبْنَا عليهِ مِثلهِ قَهْوةً خَمْرَا[42]

والحق أن صاحبنا حريص كل الحرص على امتاع حواسه كلها، فالخمر لا تشرب–عنده– إلا في رحاب صوت يطرب أذنه ويداعبها، وزهر ينفح أنفه وينعشه، ومنظر يبهج العين ويمتعها:

رعى اللهُ فِتْيَانًا أَنِسْتُ بقُرْبِهم على جَدْولٍ للماءِ فيه خَرِير[43]

أَقَمْنَا به يومينِ في خَفْضِ عِيشَةٍ ولا عَيشَ إلا قَهْوَةٌ وغَدِيرُ

تَدُورُ القوافي بَيْنَنا نَسْتَحِثُّها وكأسُ الحُمَيَّا بالسرورِ تدُورُ

وفي الشَّجراتِ الخُضْرِ منه رَقِيقَةٌ لِنَغْمَتِها بين الضُّلوعِ هَدِيرُ

إذا ما تَغَنَّتْ فَوقَنَا قُلتُ قَيْنَةٌ تلاها بصوتٍ مثلثانُ وزِيرُ

سَبَتْني بصوتٍ لو يُباعُ اشتريتُه بما مَرَّ مِنْ عُمْري وذاك يسِيرُ

فها هو يترشفها والماء يجري سلسلًا، والطير يصدح نغمًا، والعود يعزف لحنًا،والأيام تنقضي، والعيشة بلهنية وحبور، ولعل قوله "العيش قهوة وغدير "يفسر مذهبه في الحياة.

والواضح أن شاعرنا ولع بالخمر لدرجة لا يكاد يترك كأسها حتى إذا جاء يوم الجمعة امتنع –كغيره من الأندلسيين– عنها، يقول هنري بيريس"والحق أنهم– يعني الأندلسيين– يمتنعون عن شربها يوم الجمعة"[44]،حتى إذا جاء السبت ارتد إليها وهو أكثر شوقًا، وأشدُّ رغبة،وأحَدُّ لهفة، بل يجعل من شرب السبت معيارا يُعْرف به

المرء، وتقاس بها إنسانيته، وكأنَّ صاحبنا كان يعتقد- مثل كثير من أهل الأندلس- أن الرصانة ليست إلا نقصا في المزاج"[45] :

يا مَـنْ إذا ماسَقَتْنِـي الـرَّاحَ رَاحـتُـهُ أهْـدَتْ إلـيَّ بـهـا رَوْحًـا وريـحـانـا[46]

مَنْ لَمْ يَكُنْ في صباحِ السَّبْتِ يأخُذُها فليس عندي بحُكْمِ الظّرْفِ إنسانا

فكُنْ على حُسْنِ هذا اليوم مصطَبِحًا مُـؤَخِّـرًا حَسَنًـا فـيـه وحَـسَّـانـا

وفـي الـبساتيـنِ إنْ ضَـاقَ الـمَـحَلُّ بنا مَنْدُوحةٌ لا عَدِمْنا الدَّهْرَ بُستانا

وتذكرنا خمريات ابن السراج بالنَّواسِي، فهو مثله ينادي بالخمر في كل وقت، ويتمنى -مثله أن ينسأ له في عمره ويمد له في أجله حتى يرتوي منها نهلا وعللا، لكن أنَّى يتيسر له ذلك فالحياة قصيرة ماتلبث أن تنقضي بسرعة لذا تجده ينادي أصحابه بالعكوف عليها، فهو لا يضمن لهم أن يأتي قابل أو العام المقبل :

ياراقِـدِين تَنَبَّهوا مـن رَقْـدَةٍ مَنَعَتْكُمُ طِيبَ السُّرورِ العَاجِلِ[47]

وَصِلوا بِعَامِكُمُ السُّرورَ فإنَّكم لا تَضْمَنُون سُرُورَكم في القابلِ

فلو كان الأمر بيديه لما فارق الكأس يديه:

ياحَـابِسًا كـأسَ المُدَامَةِ حُثَّها نحـوي فلـي فـي شُرْبِها تأويلُ[48]

واطْرَبْ على وجهِ الرَّبيعِ فقد بدا مـنـه لـنـا وَجْـهٌ أغَـرُّ جَـمِـيـلُ

واشْرَبْ عـلـى مـاءِ الخليج فإنَّه ضَـيـفٌ إقـامَتُه لـديك قـلـيلُ

لو كان أمْرِي في يدي مافَارَقَتْ يـومًـا يَـدِي رامِـشْنَةٌ وشَمُـولُ

على الرغم من ولع ابن السراج بالخمر واستفراغ معظم شعره فيها ظلت خمرياته تقليدا للقصيدة الخمرية المشرقية فقلما تجد معنى جديدا أو صورة مبتكرة.

وإلى جوار خمرياته له ولع بوصف الطبيعة الحية وعلى رأسها البلبل الذي يسميه أهل الأندلس أم الحسن[49] ، والحق أنه وصفه له لا يأتي في الغالب مستقلا بذاته، بل هو عنده جزء أصيل من قعدته الخمرية.

وَمُسْمِعَةٍ تُغَنّينا ارْتِجَالًا وتُصْبِحُنا بنغمتها دَلالا[50]

وَبَينَ أكُفِّنا خَمْرٌ ومَاءٌ إذا ما سَالَ خِلْتَ الدُّرَّ سَالا

فإنْ شَاءَتْ سَقَينَاها مُدَامًا وإنْ شَاءَتْ سقيناها زُلالا

ولو سُقِيَتْ دمي ودمي حَرَامٌ لكان لحُسْنِ مَنْطِقها حَلالا

والقطعة بديعة، بل أكثر من بديعة إذ توافرت لها كل عناصر الإبداع لغة وإيقاعاً وصورة ، فألفاظها سهلة وبسيطة، وبحر الوافر التي تمخر عبابه زادها بهاء، فضلا عن الموسيقى الداخلية، فالألفاظ توشك أن تكون مُقَطَّعَة موسيقيًا(ومسمعة وتصبحنا = مفاعلتن،مدامًا ،وزلالًا، وحرامٌ، وحلالٌ= فعولن)، وعلينا ألا نغفل الصبغ البديعي الذي لوَّن به صورته وعلى رأسه اللف والنشر(خمر ومداما ،وماء وزلال) والتضاد بين(حرام وحلال). ويمتزج عالم الطبيعة بعالم الغزل امتزاجا جميلا، ومنه:

ذَكَرْتُ بالوردِ حُسْنَ الوردِ شِقَّته حُسْنًا وطِيبًا وعَهْدًا غَيْرَ مَضْمُونِ[51]

هَيفَاءُ لو بِعْتُ أيامي لرؤيتِها بساعةٍ لم أكُنْ فيها بمغبونِ

"فورد الربيع على أغصانه يذكره باسم صاحبته(حسن الورد) وبالورد المطبوع على خديها، ويقول إنها صنو الورد طيبا وحسنا وقصرا إذ أيامه قليلة، ويذكر

لقاءات له كانت معها من قبل"[52]، ويتمنى أوبة هذه اللقاءات حتى لو اضطر لبيع عمره جميعه. وله صورة يصف فيها البرق حال جيئته وإبان غيبته :

ألا أيُّها الـبَرْقُ الـذي ظَلَّ يَرْتَقِي ويـجْلُو دُجَى الظَّلْمَاءِ أَذْكَرْتَنِي نَجْدَا[53]

أَلَمْ تَرَ أنَّ الليلَ يَقْصُرُ طُولُه بِنَـجْـدٍ وتَـزْدَادُ الـرِّيـاحُ بـهـا بَـرْدَا

ويا أيُّها البرقُ الذي لاحَ من هُنَا لقد هِجْتَ لي شَوقًا وحَمَّلْتَنِي جَهْدَا

ويا أيُّها البرقُ الذي طال عهدُهُ عَلَيَّ لقد أَضْرَمْتَ في كبِدِي وَجْدَا

فالبرق يجلو ظلمة الكون ويبدد عتمته، ويقصر أمد الليل الطويل(السهر)، وينعش الوجود بهوائه العليل، بل يثير لواعج الشوق وشدة التحنان، حتى إذا غاب تحرق الكبد، واتقد الحشا، وعاد الجو ظلمة وأرقا وحرارة. وإلى جوار الطبيعة له غزلية تعتمد على السرد والحوار القائم على صيغة قال قلت:

وَسِـرْبٍ مِلاحٍ مَـرَّ بـي وبصاحبي ونَـحْـنُ على مـاءٍ يُـذَكِّـرُنا عَـدْنَا[54]

وَيَحْمِلْـنَ فُـولًا عِنْـدَهُـنَّ نظِيـرُه عَوَانٌ ولَكِنْ نَوْرُه عَـزَّ أنْ يُجْنَـــى

فقلـتُ: عسى مـِنْ فولِكِنَّ بـقيةٌ فـقُـلْنَ :وأيُّ الـفُـول تـرغـبُـه مِـنَّـا

فقلتُ:الذي تحت السَّراويلِ قُلْنَ لي جَـهِـلـتْ ولـم تـفـهم مَـقَالَتَنـا عَنَّـا

حَرَامٌ على مـن كان شيخًا مُشَوَّهًا وِصَالُ مِلاحٍ فُتْنَ شَمْسَ الضُّحى حُسْنَا

وفيهن نَشْوى الطَّرْفِ لـم أرَ قَبْلَها من الإنْسِ شَمْسًا تَحْمِلُ الدَّعصَ والغُصْنَا

ويدير شاعرنا حوارا بينه وبين غيد رعابيب يحملن باقلاء(فول)طلب منه شيئا فأجبنه بفول من يريد؟، فتهكت وطلب منهن غاليا واراه خلف خباء تكنيته له بالفول[55]، لكن مالبث أن جاء ففضحه بقوله:" تحت السروايل"، فكان أن ردت عليه إحداهن بأن الشيخ المشوه يحرم عليه وصال الغواني الرعابيب، وفي البيت الأخير يفصح عن ملامح فتاته(أو البعد الجسدي لها) فيصف طرفها بالنشوة التي يحدثها الخمر، وعجزها بالدعص، وتثنيها أو قوامها بالغصن.

والحق أن شاعرنا أفاد من الحوار أو السرد وأحرف العطف (الواو والفاء) لتحقيق ضرب من التماسك النصي والترابط، فضلا عن تدفق الأحداث وانثيالها، فالقصيدة تشبه قصة قصيرة فيها شخوص وأحداث تتنامى لتمضي نحوخاتمة تأتي بتأن فلا قفز ولا وثب.

ومثلما يسمق في سماوات الإبداع قد يتردى في وهاد التكلف والتلفيق، فلاميته في الغزل لا تخلو من تكلف للصبابة واصطناع للعشق:

مَنْ عاذِرِي في الحُبِّ مِنْ عَاذِلِ يَشُوبُ حُبِّي فيه بالباطِلِ[56]
يسُومُني هجْرًا لمَنْ وَصْلُه في هَجْرِهِ من شَرَفِ الواصِلِ
ربِمٌ رَمَى مُحْتَسِبًا للورى قلبي بِسَهْمٍ للهوى قاتِلِ
ناحِلُ خَصْرَين هما أثْبَتَا جِسْمَ الضَّنَى في جِسْمِيَ النَّاحِلِ
سِرٌّ طواهُ الحُبُّ في مُقْلَةٍ باحَتْ به في دَمْعِها الهامِلِ

وفيها يتحدث عن محبوبه الذي يسومه سوء العذاب بهجره ونفوره، ويقول إن رمى قلبه بسهم الهوى فأصابه، وبرى العشق جسده فأنحله، ولا يزال صاحبنا يكتم سرَّ حبه حتى إذا فاض به فضحه دمعه، فالدمع فضاح، ويقول:

آه لمَا حُمِّلْتُ من لوعَةٍ لم تَحْتَمِلْها قُوَّةُ الحامِلِ

لهفي على عَصْرٍ صَحِبْتُ الهوى فيـه هَـنِيئًا صُحْـبَـةَ الـعَـاقِــلِ

ويحاول جاهدا أن يقنع متلقيه بصدق مشاعره، فيتوسل بالتضاد لبيان حاله في وصله وفي هجره، ويستعين باللهفة والآهة(لهفتي– آهٍ) لعلها تنبيء بما يموج في صدره، ويكثر من أحرف الحلق(الحاء والعين) تأكيدا لما يعتمل في صدره. لكن أنَّى يتيسر له ذلك، فالعاطفة باردة ، والخيال ملفق، والإيقاع (بحر السريع)رتيب. وله بعض المساجلات أو الإخوانيات بينه وبين صديقه وراوية شعره ابن الغليظ، وهي في الغالب مقطعات تدعو أو تحفز لقعدة خمر، أو تصور جلسة في رحاب الطبيعة، أو تحكي نزهة بمورد ماء، يقول ابن الغليظ وقد بعث إليه رسولا :

يا خليلًا صفا وكدّرَ يومي هل إلى الطّيب في غدٍ مِنْ سبيلِ[57]

فرد عليه صاحبنا قائلا:

ياصَدِيقي شُغِلْتُ عنك بخَطْبٍ لـم يكُنْ لــي بتركـه مِـنْ سَـبِيـلِ[58]

ونلاحظ أن القصيدتين تجريان على وزن واحد(الخفيف)، وقافية واحدة (اللام المكسورة)، ومثلما خاطبه ابن الغليظ بالخليل أجابه ابن السراج بالصديق ، وكلاهما ختمها بكلمة سبيل.

خصائصه الفنية :

تمتاز لغة شعره بسهولة وبساطة منقطعة النظير، فهو لا يجد عنتا ومشقة في النظم، وكأني بربة الشعر تتنزل عليه تنزلا وقتما أراد أن يبوح بمخبوء فؤاده غزلا، أو بصميم رغبته خمرا، أو جليل رؤيته وصفا للطبيعة، انظر لقوله مجسدا لحظة أنس وحبور واستماع:

خَـلِـيلَـيَّ هُـبَّـا للمُدَامةِ واشْـرَبَا سُـرُورًا عـلـى الطَّيرِ الذي يَـتَرَنَّمُ[59]

فالألفاظ على بساطتها تحتجن دلالات عديدة، فضلا عن الأسلوب القائم على ألوان من الجمل الإنشائية، فالنداء المحذوف في(خليلي)لا يؤكد إلغاء الحواجز بينه وبين أصدقائه فحسب، بل يوجد مسوغ لمجيء فعلي الأمر هبا وأشربا فيما بعد، ففي قوله(هبا) دعوة، بل حث على الانتقال من حال لحال مغاير للأول، وفي قوله (أشربا)سرورا بدلا عن خمر تحفيزا أكبر للشرب لا سيما على أصوات طير يصدح. ومن بساطته قوله متذكرا جليل ذكرياته:

تَوَلَّتْ حَمِيدَاتٍ فسُقْيًا لعهدها ورعْيًا ولا سُقْيا لهذى ولا رَعْيَا[60]

فهو إذ يتذكر حميد أيامه فإنه يتبعها دعاء وثناء وسقيا، مايلبث أن يحس بمرارة الحاضر فلا يجد بُدّا من الدعاء عليه. انظر كيف استقام له توظيف الدعاء للتعبير عن حالتين متناقضتين.

وإلى جوار السلاسة والبساطة تأثرت لغته بطابع الحضارة والمدنية التي لونت حياة الأندلسيين لا سيما في مخاطبته لأصدقائه بعبارات الحب والود على شاكلة: ياسيدي- يا خليلي- وياصديقي[61].

أما معجمه الشعري فتسيطر عليه الألفاظ الدالة على الخمر، مثل(السلاف- القهوة- الراح- المدام- الشمول- الحميا- النبيذ.) أو الأفعال المرتبطة بها(صُب- اشرب- حُثّ)، أو أدواتها(الكأس- الزق). ويكثر من المفردات المرتبطة بالصوت والسماع، مثل(تغنت- استمع-نغمتها)، أو أصحاب الصوت(مسمعة- قينة-البلبل أو أم الحسن)، أو أدوات الموسيقى(البوق- العود وأوتاره : المثلثان والزير).

أما التراكيب ففي مقدمتها الحذف، ومنه حذف الموصوف وإقامة الصفة محله:

وفي الشَّجراتِ الخُضْرِ منه رَقِيقَةٌ لِنَغْمَتِها بين الضُّلوعِ هَدِيرُ[62]

وأصل القول عصفورة رقيقة، فحذف الموصوف(عصفورة) وآثر الصفة(رقيقة) عليه تركيزا للصفة. ويعمد إلى حذف المبتدأ تاركا للخبر مهمة تبليغ المعنى، وإيصاله للمتلقي، ومنه قوله:

هَيفَاءُ لو بِعْتُ أيامـي لرؤيتِها بساعةٍ لم أكُنْ فيها بمغبونِ[63]

وقوله:

جَوَادٌ إذا ماسْتَمْطَرَتْ جُودَ كَفِّه ظوامِـئُ آمَالٍ هَـمَى فَـسَـقَاها[64]

والحق أنه لايستغني عن المبتدأ لعلم القارئ به فحسب، بل لأن الخبر يحمل الفكرة المركزية ، أو بؤرة الضوء التي يشع منها المعنى كله. فللحذف"خاصة شعرية تقوم على الاقتصاد في اللغة فتمنح البنية الشعرية حيوية وفيض دلالة"[65]. وعلينا ألا نغفل أيضا تنكيره للخبر (هيفاء- جواد) فهو يفتح يوسع باب الفرضيات، إذ يمكن أن يكون التقدير"هيفاء/ رائعة...كاملة.. ،إلخ، أو جواد/ عظيم.. كبير إلخ...)، وبالتالي يكون المتلقي مهيئا لكل غلو أو مبالغة تأتي في البيت. انظر كيف تيسر لنا تقبل فكرة الهيف الذي يبيع العمر من أجله، أو الجود الذي يفوق السحاب عطاء. و إلى جانب الحذف نجده ميالا للجملة الاعتراضية التي يعول عليها كثيرا في تبليغ مراده ودفع المعاني المتوَهَّمة:

بقينا بلا كأسٍ سوى شَقْفِ شَرْبَةٍ يُمِيـتُ سُرورَ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ[66]

فالجملة الاعتراضية -سوى شقف شربة- أراد بها التأكيد على شدة تعلقه بالخمر لدرجة أنهم شربوا ما تبقى في الكأس المكسور، وقوله:

ولو سُقِيَتْ دمي ودمي حَرَامٌ لكان لحُسْنِ مَنْطِقها حَلالا[67]

فجملة"دمي حرام"المعترضة أراد بها التأكيد على بذل كل غال إرضاء لها وتقديرا لصوتها الرخيم. وليس من شك أن الجملة الاعتراضية لاتدفع المعنى المتوهَّم فحسب، بل تجعله يستكمل المعنى المراد بجمع أقطاره.

ومن خصائص التركيب عنده العدول، وفيه يعدل عن بعض حروف الجر مؤثرا بعضها على الآخر، مثل قوله شربت بها بدلا عن شربت منها :

شَرِبْتُ بها وَحْدِي وإنّي بشُرْبِها إذا لـم أجِدْ لي مُسْعِـدًا لكَفِيلُ [68]

أو ربما يكون الفعل"شرب" في البيت السابق بمعنى ارتوى فيكون المقصد ارتويت بها[69]، وهذا المعنى محتمل أيضا، والسياق الذي ورد فيه يؤكده (شربت حتى ارتويت وحدي). وأحيانا يناوب بين الأدوات، فها هو يحيل(لو) من دنيا الشرط إلى عالم التمني:

تَدُورُ علينا الرَّاحُ فـيه أرْيَحِيَّةٍ من الْعَيشِ لو دَامَتْ زَمَانًا كما هِيا[70]

وتتعدد أساليبه في تبليغ خطابه الشعري كأن يكثر من الجمل الدُّعَائِيَّة"رعى الله–إي حفظ–"، وحقا أنها تدعو لعناصر مختلفة فيها الزمن(العصر– اليوم)[71]، وفيها الطير(الديك)[72]، وفيها البشر (الأصدقاء)[73]، لكنها مع ذلك تأتي جميعها في رحاب الخمر . ونتعجب من صاحبنا كيف استقام له أن يزج بهذا الدعاء في درك مجونه.

ومن أساليبه أيضا أنه يعمد إلى واو رُبَّ مبالغة لما يبهجه ويدخل السرور إلى نفسه، مثل حديثه عن الكأس الذي يحب، أو عن أم الحسن التي هزت وجدانه:

وَمُسْمِعَةٍ غَنَّتْ فهاجَتْ لنا هوًى جَنَينَا بـه منـها ثِمَارَ المُـنـى جَنْيَا[74]

وكأسٍ على طِيبِ اسْتِمَاعِي لصوتِها شَرِبْتُ ودمعُ المُزْنِ يُسْعِدُني جَرْيَا

ويتدثر أسلوبه بكثير من الألوان والأصباغ، فشعره معرض ممتاز للصبغ البديعي، بل لا نعدو الحق إذا قلنا إنه لا يكاد يخلو منه نص من نصوص شعره،وعلى رأسه الجناس بشقيه التام والناقص، فمن التام قوله:

ذَكَرْتُ بالوردِ حُسْنَ الوردِ شِقَّته حُسْنًا وطِيبًا وعَهْدًا غَيْرَ مَضْمُونِ[75]

فالورد الأول الورد المعروف، والثاني اسم محبوبته. ويجمع بين التام (النحر–نحر)والناقص (أطواق مطوق)في قوله:

وكَمْ عَنَّ يومَ النَّحْرِ مِنْ نَحْرِ شَادِنٍ لِعَينِي بأطْوَاقِ الجَمَالِ مُطَوَّقُ[76]

ومن الجناس الناقص قوله:

يا مَنْ إذا ما سَقَتْنِي الرَّاحَ رَاحتُهُ أهْدَتْ إليَّ بها رَوْحًا وريحانا[77]

فالمجانسة واضحة بين الراح وراحته، وروحا وريحانا . وحقا أنه أحيانا يأتى عفو الخاطر كما مرَّ سابقا، لكنه أحيانا ينوء بثقله النص، على شاكلة التكلف المقيت في قوله :

زَالَ فَزَال الصَّبْرُ عَنِّي فَقُلْ في فَجْعَةِ الزَّائِلِ بالزَّائِلِ[78]

آه لمَا حُمِّلْتُ من لوعَةٍ لم تَحْتَمِلْها قُوَّةُ الحامِلِ

فالبيت الأول مبني كله على صيغة لغوية واحدة هي "زال"، أما الثاني فعلى مادة "حمل" .

أما صوره الفنية فلا تخلو من الاستعارات الجميلة التي تنبئ عن سعة خيال وبعد أفق:

رَعَى اللهُ ذا صَوتٍ أنِسْنَا بصوتِهِ وقد بانَ في وجهِ الظَّلامِ شُحوبُ[79]

دعا من بعيدٍ صاحِبًا فأجابَه يُخَبِّرُنا أنَّ الصَّباحَ قريبُ

فقوله"بان شحوب من وجه الظلام" صورة جميلة، ولا شك أن اقتراب الصبح وانبلاج نوره، هو الذي جعل وجه الظلام شاحبا. كما يعتمد على التشبيه المقلوب مبالغة وغلوا، فبدلا من أن يجعل ريق المحبوبة كالخمر يقلبه رأسا على عقب فيجعل الخمر ريقا لها:

فاشْرَبْ على ذِكْرِها خَمْرًا كريقتها وخُصَّني بهواها حِينَ تَسْقِيني[80]

ويجمع في صوره بين البيان(الاستعارة) والبديع(رد الأعجاز إلى الصدور)، ومنه:

كَحَّلَتْ بالسُّهادِ والدَّمْعِ طَرْفِي يَومَ أبصرتُها بطرفٍ كحيلِ[81]

انظر كيف استقام أن يجعل من الكحل الذي يُجَمِّلُ طرفها أداة للأرق(السهاد) والبكاء(الدمع)، فالكحل عنده ليس مادة جمال فحسب، بل أرق ولوعة وسهر طويل. وعلى نحو ما بدأ به أرقا انتهى به جمالا(رد الأعجاز إلى الصدور).

كما تعكس صوره الحياة الحسية اللاهية التي كان يعيشها، فمعظم صوره حسي الطابع ، أو يقع تحت طائلة الحواس الخمس، مثل الصور السمعية(صوت الماء الذي يشاكل بكاء المحب) في قوله :

شَرِبْنَا على ماءٍ كأنَّ خَرِيرَهُ بُكاءُ مُحِبٍّ بانَ عنه حَبِيبُ[82]

و الصورة الذوقية(مزة في حرارة الزنجبيل) في قوله:

وغدًا نَـلْـتَقِــي عليـها سُلافًا مُزَّةً فـي حَرَارةِ الزَّنـجبيلِ[83]

ويوظف القيم الصوتية للحروف همسا وشدة في بناء الصوره وتجسيد المعاني، ومنه إعمال الهمزة وإهمالها، كقوله:

هي سُؤلي من الملاحِ كمـا أنــْ نَك من سادةِ الأخلاءِ سُولي[84]

ففي الأولى جاء بها مهموزة(هي سؤلي) وفي الثانية أهملها(أنت سولي)، ومع أن السؤل- لغويا- في كليهما واحد، لكنه في الدلالة والمعنى مختلف، فالسؤل المهموز يناسب العنت والمشقة التي يلقاها من محبوبه بينما يناسب المهمل لطافة خدنه وأريحيته. ومن صوره التي توظف القيم الصوتية للحروف، إفادته من الصاد والسين(صوتها – سوط) :

رَسُولُ التي في صوتِها سَوْطُ لحظِها علــى هائمٍ مـثلــي بـها غَـيْرِ مُقْصِرُ[85]

وفي البيت صورة جميلة إذ جعل للحظها سوطا يجلده به، ولصوتها زلزلة تجتاحه، وتتجلى براعة الشاعر في اختياره لكلمة السوط التي تفيد أشد أنواع العذاب، وعذابه هنا عذابان، تارة بلحظها، وأخرى بصوتها الرخيم.

لعل أهم خاصيتين تميزت بهما صوره الفنية ، هما، التكثيف والطرافة، أما التكثيف فنقصد به حشده لكثير من الألوان البيانية، مثل قوله واصفا جود صديق له:

جَوَادٌ إذا ماسْتَمْطَرَتْ جُودَ كَفِّه ظوامِـئُ آمَالٍ هَـمَــى فَـسَقَاها[86]

فالبيت يحتجن ألوانا شتى من البيان والبديع، وعلى رأسه الاستعارة الجميلة في جعله الآمال تظمأ، والتضاد بين الظمأ والسقي (الري)، والمجانسة الصوتية بين جواد وجود، وحسن انتقائه للعطف بالفاء(فسقاها) تأكيدا لسرعة استجابة ممدوحه لسؤل المعتفين، وعلينا ألا نغفل المبالغة التي بنى عليها بيته.

وأما الطرافة ففي قدرته الفذة على ابتكار الصورة والتفنن فيها، يعينه في ذلك خيال جامح، انظر لقوله مصورا تساقط المطر :

تَأمَّلْ سُقُوطَ الغيثِ ماذا أثَارَ من هَوًى هو في قَلْبِ المُحِبِّ كنينُ[87]

رأى في جفوني دَمْعَها جَامِدَ الهوى فَفَاضَتْ على الإسعادِ مِنْهُ جُفونُ

فسقوط الغيث على الأرض الظمئ يثير تباريح قلب صاحبه يكتم مابه كتما، ولايزال به لدرجة يتعذر على الدمع أن يفيض فيبوح بالمكنون، إزاء هذا الموقف لم يجدا الغيث بدًّا من السقوط وكأنه يومئ للكاتم أن يماثله بوحا ببوح ودمعا بدمع.

أما فيما يخص الإيقاع فقد حافظ على العروض الخليلي مؤثرا بحر الطويل الذي شغل أكثر من نصف شعره الذي بين أيدينا، وهذا ليس بغريب، فالطويل أكثر البحور شيوعا في الشعر العربي[88]، أما مجئ البسيط والكامل من بعده فيتفق مع ما قرره النقاد في شأن هذه البحور[89] ،كما ركب ثبج الوافر، والمنسرح، وبحر الخفيف. كذلك نلاحظ أنه انصرف عن عالم الموشحات الجميل فلم ينظم فيه مع أن الشعاب التي كان يضرب فيها من خمر وطبيعة تناسب هذا العالم وتنسجم معه تمام الانسجام. أكبر الظن أن الموشحات في الفترة التي عاشها شاعرنا(بداية عهد الطوائف) كان في بدايتها، أو في مرحلة التجريب، أو أن شاعرنا لم يرق له إلا الشعر في صورته التقليدية.

وأما قوافيه فاختار لها الذلل التي تكثر على الألسن[90]، وهي، الميم- أكثرها حضورا- والراء والميم والباء والدال والياء ،والحاء والقاف،كما تنكب على بعض الأحرف التي تحاماها الشعراء، مثل الكاف والهاء.

كذلك تعددت وسائله في استجلاب القافية، وفي التمهيد لها، ومنها، التوشيح[91]الذي يسهل تنبؤ المتلقي بقافية البيت، أو حسن توقعه لتتمته يجعله يشعر بأنه منتج للنص، وصانع له بدلا من كونه متلقيا سلبيا، ومنه:

أثـقَّلَتْني هوًى بقدٍّ خَفِيفٍ حُسْنُ الوَرْدِ فَوْقَ رِدْفٍ ثَقِيلِ[92]

فمن يسمع الشطر الأول يعرف الشطر الثاني، فإذا كانت خفة القوام قد ثقلت عليه فلا بد أن يكون الردف أشد ثقلا، وهو إذ مهد بالثقل ختم به، كما أن خفة القد تستدعي ثقل الردف استكمالا للتضاد من جهة المعنى، ولمقاييس الجمال من جهة الصورة، ومنه قوله:

ولو تَعْدِل الأيَّامُ في بَذْلِ خُطَّةٍ لما كُنْتُ في السُّفلى وغَيرِيَ في العُلْيا[93]

فإذا كانت الأيام ظالمة لا تعدل، وطالما أنها أهبطت المستحق دركا، فمن باب تمادي الظلم أن ترفع من لا يستحق درجا.

ومن ممهداته للقافية أيضا، إكثاره من صيغة المفعول المطلق ومنه:(جنينا المنى جنيا، سقاها الحيا سقيا،تمري الدموع مريا،سعت سعيا)[94]، والحق أن ليس ميله للمفعول المطلق لغاية التأكيد على المعنى فحسب، بل لأنه يسهل له استجلاب القافية اليائية الروي.

ويعكس شعره اهتمامه بالإيقاع الداخلي إيمانا منه به، فبالإيقاع الداخلي يتفاضل الشعراء، وبه يغدو الشعر عظيما ومؤثرا. ومنه حسن إنتقائه للمفردات والحروف، انظر الانسيابية التي يوفرها تكراره لحرف اللام في قوله:

خليلَيَّ وَجْدِي فَوْقَ ماتُبْصرانِهِ فَهَلْ لي إلى السُّلوان عنـه سَبِيلُ[95]

يقول المرحوم عبد الله الطيب"واللام من أحلى القوافي لسهولة مخارجها، وكثرة أصولها في الكلام من غير إسراف"[96]. ويفيد من تكرار حرف السين ومابه من صفات(همس ووسوسة) في التعبير عن حالته النفسية، ومنها، شعوره بالسحر الذي يسكبه حسنها في وجدانه، و إحساسه بهمس النظرة الذي تبثها عيناها أو جفونها، و حبوره بالنشوة التي تحدثها يدها الساقية :

وَرَوَّى التي من حُسْنِها وجُفُونِها سَقَتْنِيَ سِحْرًا خَمْرَةً تُسْكِرُ السِّحْرَا [97]

ومثلما يعذب تكرار بعض الحروف قد ينبو بعضها الآخر مثل تكرار الجيم في قوله:

سَلَبَتْنِي صَبْرِيَ الجَمِيلَ وقلبي بـجُـفُـونٍ نُـجْـلٍ وَوَجْـــهٍ جَمِيلِ [98]

فالجيمات المتلاحقة التي تكاد تنتظم البيت كله تصك أذنيك. ومن الموسيقى الداخلية نوع دقيق من التقابل الأفقي، وفيه تتساوى كل كلمة في صدر البيت مع الكلمة التي تقابلها في العجز ، في وزنها الصرفي والعروضي:

فإنْ شَاءَتْ/ سَقَينَاها / مُدَاما وإنْ شَاءَتْ/ سقيناها / زُلالا[99]

مفاعلين / مفاعلين / فعولن مفاعيلن / مفاعيلن / فعولن

والحق أن هذا التقابل يحدث إيقاعا متساويا تهش له الأذن، ولا تكاد تملّ سماعه.

منهجنا في هذا العمل:

عمدنا في هذا البحث إلى جمع وتوثيق كل ما توافر إلينا من شعر ابن السراج المالقي سواء من المصادر الأندلسية أو المشرقية، ومن كتب التراجم وغيرها، وقد أسفر بحثنا وتنقيرنا عن مائة وخمسة وعشرين بيتا. كما قمنا بترتيب النصوص

على حروف المعجم، وإثبات الروايات المختلفة للأبيات، وشرح غامض اللفظ، وتسمية الأبحر الشعرية، وضبط الأبيات بالشكل.

ومهما يكن الأمر فهذا كل ما تيسَّر لنا من شعر ابن السراج المالقي، ولا شك أن هناك ما غفلنا عنه. فالحمد لله الذي جعل الكمال له والعصمة لأنبيائه.

ثانيا: شعره –

الباء

1

وقال في ديك صدح:

من الطويل

رَعَى اللهُ ذا صَوتٍ أنِسْنَا بصوتِهِ وقد بانَ في وجهِ الظَّلامِ شُحوبُ

دعا من بعيدٍ صاحِبًا فأجابَه يُخَبِّرُنا أنَّ الصَّباحَ قريبُ

عَلَيَّ لَهُ –لو كُنْتُ أملِكُ أمْرَه– حياةٌ على طيبِ الزَّمانِ تَطِيبُ

التخريج:

الذخيرة: 878/1–879، المغرب :435/1

الروايات:

في المغرب: عمره بدلا عن أمره

2

من الطويل

قال أبو الحسن بن الغليظ : قلت يوما للأديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على جرية ماء أجز:

شَرِبْنَا على ماءٍ كأنَّ خَرِيرَهُ

فقال مبادرا:

بُكاءُ مُحِبٍّ بانَ عنه حَبِيبُ

فمَنَ كان مَشْغُوفًا كئيبًا بإلفه فإنّـيَ

مَـشْغُـوفٌ بـه وكَـئِـيـبُ التخريج:

الذخيرة: 872/1، بدائع البدائه: 81، نفح الطيب: 3/ 270 ويكررها مرة أخرى في 3/ 610، وفي مسالك الأبصار: 296/17: وفيه يورد البيتين لابن السراج دون إشارة إلى أن شطر البيت الأول لابن الغليظ وأن البقية قالها ابن السراج إجازة له.

الحاء

3

من الوافر

ألا مَنْ مُنْقِذي مِنْ كَرْبِ لَيْلٍ تَعَرَّضَ

بيـن طرفي وارتياحي

تَضَاعَفَ طُولُه واشْتَدَّ حُزْني بـه

حتَّى يَئِستُ مـن الصَّبَاحِ

التخريج: الذخيرة : 1/ 882

الدال

4

من المنسرح

يـا سَيِّـدي والذي رضـاهُ رِضًى عليـه دُونَ الأنـامِ اعـتَـمِـدُ

أمـا تَرَى الدَّهرَ كيف جَادَ لنا بيـومِ أُنْـسٍ سـاعـاتـُهُ جددُ

وَرْدٌ جَنِيٌّ وروضةٌ تركَتْ بوفرِها والمياهُ تَطَّردُ

فقُلْ لأُمِّ الحِسَان تقتُلني ولا عليها دَمٌ ولا قَوَدُ

واشْرَبْ كشُرْبِي على محَبَّةِ من في صوتِها العذبِ طَائرٌ غَرِدُ

التخريج:

الذخيرة :876/1

المعاني:

قود: قصاص

5

من الطويل

ألا أيُّها البَرْقُ الذي ظَلَّ يَرْتَقِي ويجْلُو دُجَى الظَّلْمَاءِ أذْكَرْتَنِي نَجْدَا

ألَمْ تَرَ أنَّ الليلَ يَقْصُرُ طُولُه بِنَجْدٍ وتَزْدَادُ الرِّياحُ بها بَرْدَا

ويا أيُّها البرقُ الذي لاحَ من هُنَا لقد هِجْتَ لي شَوقًا وحَمَّلْتَنِي جَهْدَا

ويا أيُّها البرقُ الذي طال عهدُهُ عَلَيَّ لقد أضْرَمْتَ في كبِدِي وَجْدَا

التخريج:

مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: 214

الراء

6

من الطويل

خَـلِيـلَـيَّ فـي ريــحِ الصَّبَا لـو تَنَسَّمَتْ عـلـيـنـا شِـفَاءٌ مـن هـوًى مُتَسَعِّــرِ

رَسُولُ التي في صوتِها سَوْطُ لحظِها عـلــى هـائـمٍ مـثـلـي بـهـا غَـيْرِ مُقْصِرِ

تـذكَّـرْتُ بــالـوادي زمـانـًا لقيتُـهـا بــه فـيـه والمُـشْـتـاقُ حِـلْـفُ تَـذَكُّـرِ

فلو صُبَّ فــي كــأسي أذًى لشربْتُه على شَرْطِ أنْ أُسْقَاه من كَفِّ أزْهَرِ

التخريج:

الذخيرة : 872/1

7

من الطويل

رعـى اللهُ فِـتْيَانًا أنِسْتُ بقُـرْبِهم على جَـذْولٍ للـمـاءِ فـيه خَـرِيــرُ

أقَـمْنَا به يومينِ في خَفْضِ عِيشَةٍ ولا عَـيـشَ إلا قَـهْـوَةٌ وغَـدِيــرُ

تَـدُورُ الـقـوافـي بَـيْـنَـنا نَسْتَحِثُّها وكـأسُ الحُـمَـيَّا بـالـسُّرورِ تـدُورُ

وفي الشَّجراتِ الخُضْرِ منه رَقِيقَةٌ لِـنَـغْـمَـتِـها بـيـن الضُّـلـوعِ هَـدِيــرُ

إذا مـا تـغَـنَّتْ فَـوقَنَا قُـلتُ قَـيْـنَـةٌ تــلاهـا بـصـوتٍ مـثـلـثـانُ وزِيــرُ

سَبَتْني بصوتٍ لو يُباعُ اشتريتُه بما مَرَّ مِنْ عُمْري وذاك يسِيرُ

التخريج:

الذخيرة : 880/1

8

من الطويل

ذَكَرْتُكِ بالوادي الذي كُنْتِ مَرَّةً بِه والهوى ما بَيْنَنا أبَدًا غِرُّ

فحَرَّك مِنِّي باعثُ الشَّوقِ ساكِنًا وكَلَّفَنِي صَبْرًا ومِنْ أيَنْ لي صَبْرُ

فيا نازِحًا والدَّارُ مِنِّي قَرِيبَةٌ إلى كَمْ يَطُولُ الصَّدُّ لي منك والهَجْرُ

إذا اللهُ يومًا خَصَّ بالقَطْرِ سَاحَةً فلا زال مُنْهَلًا بساحَتِكِ القَطْرُ*

التخريج:

الذخيرة: 879/1

*في الشطر الثاني تضمين لقول ذي الرمة:

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

انظر ديوانه: 102

9

من الطويل

عليك سَلامُ اللهِ يا ماءَ مَوْضِعٍ شَرِبْنَا عليهِ مِثلهِ قَهْوةً خَمْرَا

وَرَوَّى التي من حُسْنِها وجُفُونِها سَقَتْنِيَ سِحْرًا خَمْرَةً تُسْكِرُ السِّحْرَا

التخريج:

الذخيرة: 874/1

القاف

10

من الطويل

وكَمْ عَنَّ يومَ النَّحْرِ مِنْ نَحْرِ شَادِنٍ لِعَينِي بأطْـوَاقِ

الـجَمَالِ مُطَوَّقُ

التخريج:

جذوة المقتبس : 106، بغية الملتمس:112/1، المحمدون من الشعراء وأشعارهم:463

في بغية الملتمس: كم بدون الواو ، وبه ينكسر الوزن فالصواب ما أثبتناه.

المعاني:

عنَّ: ظهر

يوم النحر: يوم الأضحى

الطوق: حُلي يجعل في العنق

الكاف

11

من السريع

نَبِيذُك الـمُـحْـكَمُ يَـدْعُوكا مُسْتَشْعِرًا شَوقًا إلى فِيكا

فامْنُنْ بإقبالٍ وإلَّا مَضَى جـميعُنا دُمْـتَ لـنا دِيــكا

التخريج:

الذخيرة: 876/1

اللام

12

من السريع

مَنْ عاذِرِي في الحُبِّ مِنْ عَاذِلٍ يَشُوبُ
حُبِّي فيه بالباطِلِ
يسُومُني هجْرًا لمَنْ وَصْلُه في هَجْرِه من شَرَفِ
الواصِلِ
ريمٌ رَمَى مُحْتَسِبًا للورى
قلبي بِسَهْمٍ للهوى قاتِلِ
ناحِلُ خَصْرَين هما أثْبَتَا جِسْمَ
الضَّنَى في جِسْمِيَ النَّاحِلِ
سِرٌّ طواهُ الحُبُّ في مُقْلَةٍ
باحَتْ به في دَمْعِها الهامِلِ
ياعَجَبًا من سَاكِنٍ مُقْلَتِي كيف
نَجَا من دَمْعِها السَّائِلِ
وحاضِرٌ فيها وَمَنْ دُونِهِ
مسَافَةُ العَامِ إلى القَابِلِ
زَالَ فَزَال الصَّبْرُ عَنِّي فَقُلْ في
فَجْعَةِ الزَّائِلِ بالزَّائِلِ
آه لمَا حُمِّلْتُ من لوعَةٍ لم
تَحْتَمِلْها قُوَّةُ الحامِلِ

لهفي على عَصْرٍ صَحِبْتُ الهوى فيـه
هَنِيئًا صُحْـبَـةَ الـعَـاقِــلِ
أصغِـي مـع الدَّهْـرِ إلى لَـذَّتِــي
فـيــه ولا أصْغِي إلى العاذِلِ

التخريج:

مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: 213-214

13

من الخفيف

ياصَدِيقي شُغِلْتُ عنك بخَطْبٍ لـم يكُنْ لــي بتركــه مِـنْ سَـبِيـلِ
وغدًا نَـلْـتَـقِــي عليـها سُلافًا مُــزَّةً فـــي حَـرَارةِ
الزَّنـجـبـيلِ
أثْـقَـلَـتْـنـي هوًى بـقَـدٍّ خَفِيفٍ حُسْنُ الـوَرْدِ فَـوْقَ
رِدْفٍ ثَقِيلِ
سَلَبَتْنِي صَبْرِيَ الجَمِيلَ وقلبي بـجُـفُـونٍ
نُـجْـلٍ وَوَجْــهٍ جَمِيلِ
كَحَّلَتْ بالسُّهادِ والدَّمْعِ طَرْفِي يَـومَ أبصرتُها بـطـرفٍ
كـحـيلِ
هي سُؤلي من الملاحِ كمـا أنــْ نَك
من سادةِ الأخلاءِ سُولي
لا عَدَتْني زيارةٌ منك تُـذْكي نُورَ عَينِي سنًا وتشفي
غَلِيلي

التخريج:الذخيرة : 871/1

14

من الكامل

يا راقِـدِين تَنَبَّهوا مـن رَقْـدَةٍ مَنَعَتْكُمُ طِيبَ السُّرورِ العَاجِلِ

وَصِلوا بِعَامِكُمُ السُّرورَ فإنَّكم لا تَضْمَنُون سُرُورَكم في القابِلِ

لا خُلْقَ أَغْبَنُ مَتْجَرًا من بائعٍ بالبَخْسِ عَـاجَـلَ طِيبَهُ بـــالآجِلِ

لله هذا اليومُ لو ظَفَرَتْ يَدِي فيه بحفظِ العَهْدِ فِـــيَّ لـقَابِلِ

التخريج:

الذخيرة :880/1

15

من الكامل

يـــا حَـــابِسًا كـأسَ المُدَامَةِ حُثَّها نحـوي فلـي فـي شُرْبِها تأويلُ

واطْرَبْ على وجهِ الرَّبيعِ فقد بدا مـنـه لـنا وَجْـــهٌ أَغَـرُّ جَـمِـيـلُ

واشْرَبْ عـلـــى مـاءِ الخليج فإنَّه ضَـيـفٌ إقـامَتُه لـديك قـلـيلُ

لو كان أمْرِي في يدي ما فَارَقَتْ يـومًـا يَـدِي رامِـشْنَةٌ وشَمُـولُ

التخريج:

الذخيرة :881/1

المعاني:

رامشنة: ورقة الآس

16

من الطويل

رَعَى اللهُ يومًا لم أجِدْ فيه مُسْعِدًا عـلـى شُرْبِها والمُسْعِدونَ قَليلُ

شَرِبْتُ بها وَحْدِي وإنِّي بشُرْبِها إذا لـم أجِدْ لي

مُسْعِـدًا لكَفِيلُ

التخريج:

الذخيرة :880/1

17

من الطويل

إذا الشَّمْسُ مَالَتْ للغروبِ رأيتَنِي أمِـيـلُ بـأثْـقَـالِ الـهـوى فـأمـيلُ

تُذَكِّرني أوْصَافَ مَنْ عَرَضَ الهوى عَـلَـيَّ فـلَـمَّـا

هِـمْتُ ظَـلَّ يَحُولُ

خليلَيَّ وَجْدِي فَوْقَ ما تُبْصرانِهِ فَهَلْ لي إلى

السُّلوان عنـه سَبِيلُ

خُذَا رَحْمَةً من بعضِ مابِي من الهوى فـإنَّ الـهوى حِمْلٌ

عَلَـيَّ ثَقِيلُ

التخريج:

الذخيرة :876/1

18

من الوافر

وقال في أم الحسن:

وَمُـسْمِعَةٍ تُغَنّينا ارْتِـجَـالًا وتُصْـبِـحُنا بنـغمـتها دَلالا

وَبَـيـنَ أكُـفِّـنـا خَـمْـرٌ ومَـاءٌ إذا ما سَالَ خِلْتَ الدُّرَّ سَـالا

فإنْ شَاءَتْ سَقَينَاها مُدَامًا وإنْ شَاءَتْ سقيناها زُلالا

ولو سُقِيَتْ دمي ودمي حَرَامٌ لكان لحُسْنِ مَنْطِقها حَلالا

التخريج:

الذخيرة :881/1

الميم

19

من الطويل

بقينا بلا كأسٍ سوى شَقْفِ شَرْبَةٍ يُمِيتُ سُرورَ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

فَمُنَّ بكأسٍ يا فتى الفَتْكِ والذي مَضَى لي زَمَانٌ وَهْوَ فيه مُعَلِّمِي

التخريج :

الذخيرة : 874/1

20

من الطويل

ألا يا نَسِيمَ الرِّيحِ هل أنت مُخْبِري بحالِ حَبْيبٍ ليس لي عنَدهُ عِلْمُ

حَبِيبٌ رآنِـي أشْتَفِي منه فاتقّـى جُفُونِي بسِتْرٍ تَحْتَه القَمَرُ التَّمُّ

التخريج:

الذخيرة :874/1

21

من الطويل

خَـلِـيلَـيَّ هُـبَّـا للمُدَامةِ واشْـرَبَا سُـرُورًا عـلـى الطَّيرِ الذي يَـتَرَنَّمُ

علا صوتُه حتَّى حَسِبْنَاهُ عَاشِقًا يَبُوحُ ودَمْعُ العَينِ في الخَدِّ يسْجمُ

كـأنَّـا سألناهُ مزيدًا لِمَا شَدَا بـهِ فَـهْـوَ مِـنْ إلْـحَـاحِنَـا يَتَبَرَّمُ

التخريج:

الذخيرة :880/1

النون

22

من البسيط

ذَكَرْتُ بالوردِ حُسْنَ الوردِ شِقَّته حُسْنًا وطِيبًا وعَهْدًا غَيْرَ مَضْمُونِ

هَيفَاءُ لو بِعْتُ أيـامـي لرؤيـتِها بساعـةٍ لـم أكُـنْ فيها بـمـغبونِ

كالبدرِ رَكَّبَهُ في الغُصْنِ خَالِقُه فما ترى حين تبدو غَيْرَ مَفْتُونِ

فاشْرَبْ على ذِكْرِها خَمْرًا كريقتها وخُصَّني بـهـواها حـينَ تَسْقِيـني

التخريج:

الذخيرة :873/1

23

من المنسرح

هَلْ لك في الشُّربِ يا أبا الحسنِ في مَنْزِلٍ طيّبِ الثَّرى حَسَنِ

أرجـــاؤُه لا تـــزالُ دَائِـــرةً بـوَاكِـفٍ مــن مــياهِـه هَـتِـنِ

لـو كان مِمَّـا يُبـاعُ كُنْتُ لـه مُشْتَرِيًا بـالغلا مــن الثَّمنِ

مـا كنتْ فيه والزّقُ يصحَبُني أُبْدِلُ كأسي بتاجِ ذِي يَزَنِ

التخريج:

الذخيرة :874/1

24

من البسيط

إنْ كُنْتَ تُبْقي على عُرْسِ البَواقين فأنْتَ عِنْدِيَ مَـجْنونُ المجانينِ

دَعْ ذا وسِرْ بي إلى أُمِّ الحِسَانِ ففي صدري لها وضلوعي قَلْبُ مَفْتُونِ

وصاحِبُ العُرْسِ بوقون وأنْتَ فَتًى مــازِلتَ تَكرهُ أحْـوالَ البواقـيـنِ

التخريج:

الذخيرة :875/1

البوقون جمعه بواقين: يقول المرحوم إحسان عباس"وترجيح ذلك من " Bocinero " وهو نافخ البوق أو القرن، ولفظة" Bocon" بالإسبانية تعني أفوه أو فشار" انظر هامش الذخيرة :875/1

25

من الطويل

وقال وقد رأى الغيث ينزل:

تَأمَّلْ سُقُوطَ الغيثِ ماذا أثَارَ من هَوَى هو في قَلْبِ المُحِبِّ كنينُ

رأى في جفوني دَمْعَها جَامِدَ الهوى فَفَاضَتْ على الإسعادِ مِنْهُ جُفونُ

التخريج:

الذخيرة :879/1، المغرب: 435/1

الروايات:

في المغرب: كمين بدلا عن كنين

في رواية المغرب: رأى لي جفونا دمعها غير ذائب فذابت على الإسعاد منه جفون

المعاني:

كنين: محفوظ ومصون

26

من الطويل

وَسِرْبٍ مِلاحٍ مَرَّ بـــي وبصاحبي ونَحْنُ على مـاءٍ يُـذَكِّـرُنا عَـدْنَا

وَيَحْمِلْنَ قُولًا عِنْدَهُنَّ نظِيرُه عَوَانٌ ولَكِنْ نَوْرُه عَزَّ أنْ يُجْنَـــى

فقلتُ : عسى مِنْ فولِكِنَّ بقيةٌ فقُلْنَ : وأيُّ الفُول ترغبُه مِنَّا

فقلتُ:الذي تحت السَّراويلِ قُلْنَ لي جَهِلْتَ ولم تفهم مَقَالَتَنا عَنَّا

حَرَامٌ على من كان شيخًا مُشَوَّهًا وِصَالُ مِلاحٍ فُتْنَ شَمْسَ الضُّحى حُسْنَا

وفيهن نَشْوى الطَّرْفِ لم أرَ قَبْلَها من الإنْسِ شَمْسًا تَحْمِلُ الدَّعصَ والغُصْنَا

التخريج:

الذخيرة : 881/1

المعاني:

عوان: النَّصَفُ من النساء فلا هي كبيرة ولا هي صغيرة

27

من البسيط

يامَنْ إذا ما سَقَتْنِي الرَّاحَ رَاحتُهُ أهْدَتْ إليَّ بها رَوْحًا وريحانا

مَنْ لَمْ يَكُنْ في صباحِ السَّبْتِ يأخُذُها فليس عندي بحُكْمِ الظّرْفِ إنسانا

فكُنْ على حُسْنِ هذا اليوم مصطَبِحًا مُؤخِّرًا حَسَنًا فيه وحَسَّانا

وفي البساتينِ إنْ ضَاقَ المَحَلُّ بنا مَنْدُوحةٌ لاعَدِمْنا الدَّهْرَ بُستانا

التخريج:

الذخيرة :877/1، نفح الطيب: 399/3

الروايات:

في رواية نفح الطيب: مذكرا حسنا فيه وإحسانا

الهاء

28

من الطويل

سَقَى صَفْحةَ الصَّفّاحِ من غيثِ عَبْرتي سَحَائِبُ تروي تُرْبَها وثَراها

شَرِبْتُ بها يومًا وصَحْبِيَ مَاجِدٌ لَه راحَةٌ يَسْقي السَّحَابَ نداها

جَوَادٌ إذا ما اسْتَمْطَرَتْ جُودَ كَفِّه ظَوامِئُ آمَالٍ هَمَى فَسَقَاها

التخريج :

الذخيرة: 1/ 874- 875

الياء

29

من الطويل

وَمُسْمِعَةٍ غَنَّتْ فهاجَتْ لنا هوًى جَنَينَا به منها ثِمَارَ المُنى جَنْيَا*

دَعَوتُ لها سُقْيا فمااسْتَكمَلَ الرضى دُعائي لها حتى سقاها الحَيَا سَقْيَا

وكأسٍ على طِيبِ اسْتِمَاعِي لصوتِها شَرِبْتُ ودمعُ المُزْنِ يُسْعِدُني جَرْيَا

ولو أَقْلَعَتْ أُولَى عَزَالِيه لانْبَرَتْ رياحُ النَّوى تُمري دُمُوعَ الهوى مَرْيَا

خليليَّ هـذا الـيومُ لـو بِيـعَ طِيبُهُ بمـا حَوَتِ الدُّنيا لقَلَّتْ له الدُّنْيَا

ولله أيَّامِـي ومـا خِـلْتُ أنَّـها تُعَوِّضُني مـن قُرْبِها في الرضى نأيا

تَوَلَّتْ حَمِيدَاتٍ فسُقْيًـا لعهدها ورعْـيًا ولا سُـقْيا لـهذى ولا رَعْـيَا

جَفَتْنِي عُيُونُ الغّانِـيـاتِ وطَالَمَـا سَقَتْ طُـولَ أيَّـامـي لتبصرني سَعْيَا

وأطلعَ شيبي عارضًا فوق عارضي يَسِـحُّ هُمومًـا مـا علـيَّ لهـا بُقْيَـا

مضي عُمُري والدَّهْرُ لي غيرُ مُنْصِفٍ يُكَلِّفني أشيـاءَ جَـلَّتْ عـن الأشْيَـا

فلا جِيدَ مِنْ غَيدَاءَ يَشْفِي عناقُها غَـلِـيـلَ صبابـاتـي ولا شفَّـةٌ لَـمْيَـا

كفى حَزَنًا أنِّي أرى الحُسْنَ مُمْكِنًا ولستُ أرى لـي فيه أمـرًا ولا نَهْيَا

ولو تَـعْدِلُ الأيَّامُ في بَـذْلِ خُطَّـةٍ لما كُنْتُ في السُّفلى وغَيرِيَ في العُلْيا

التخريج:

الذخيرة:878/1، البيتان الثالث والخامس في مسالك الأبصار:296/17، والأبيات 1– 5 في المغرب: 334/1

الروايات:

في المغرب:دمع العين بدلا عن دمع المزن

المعاني:

عزاليه: المطر

*** والقصيدة كتبت على مرحلتين، فقد كتب البيتين الأول والثاني ثم زاد الباقي بناء على طلب من الوزير الكاتب أبوبكر بن زياد. انظر الذخيرة:878/1**

30

من الطويل

رعى اللهُ عَصْرًا ضَمَّنا في عَصِيره مَحَلٌّ وَصَلْنا اللّهوَ فيه لياليا

تَدُورُ علينا الرَّاحُ فيه أَرْيَحِيَّةٍ من الْعَيشِ لو دَامَتْ زَمَانًا كما هِيا

أقولُ لأصحابي خُذُوا من حياتكم برأيِيَ زادًا سوف يَنْفَدُ فانيا

ومَنْ مَلَّ منكم شُرْبَها فليرُدّها إليَّ فإنِّي لا أَمَلُّ التَّمادِيا

أرى عُمَرَ الإنسانِ يومًا يسُرُّه فمن نال ذاك اليومَ نالَ الأمانيا

فلا تُلْقِ يومًا بالخِلافِ إلى غدٍ فلسْتَ بما لاقيتَ بالأمسِ لاقيا

ولا تَخْلُ من كأسٍ يَسُرُّك شُرْبُها على طربٍ ما دام سِرُّك خاليا

فإنْ أَبْكِ أيّامَ الشَّبَابِ فواجِبٌ على من جَفَتْهُ أنْ يرى الدَّهْرَ باكيا

التخريج:

الذخيرة : 882/1

الهوامش:

(1) انظر في ترجمته: جذوة المقتبس: 106، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:870/1 وما بعدها، بغية الملتمس:112/1، المحمدون من الشعراء: 463، المغرب في حلى المغرب: 1/ 434، مسالك الأبصار: 296/17، وله ذكر مع بعض شعره في : نفح الطيب: 3/ 270، 390، 610، بدائع البدائه:81

(2) مَالَقَة: بفتح اللام والقاف كلمة أعجمية، مدينة على شاطئ البحر- بحر الزقاق- عليها سور صخر، والبحر في قبليها، وهي حسنة عامرة، وآهلة كثيرة الديار": معجم البلدان:42/5 ، الروض المعطار: 517

(3) جذوة المقتبس: 106

(4) لم نعثر على ترجمة مباشرة له فاضطررنا إلى البحث والتنقير عنه في كتب التاريخ للتعريف به : هو أبو جعفر أحمد بن موسى بن بقنة من البربر،كان كاتبا ليحيى بن حمود ووزيرا لدولته جعله سنة 417هـ حاكما على قرطبة ما لبث أن فرَّ منها إلى مالقة بعد أن قتل أهلها البربر. والواضح أنه أحد الذين مارسوا السلطة الفعلية والقوية في توجيه الدولة الحمودية- كما يقول دي لوثينا- حتى قُتل. وفي مقتله روايتان الأولى: للحميدي أن حسن بن يحيى بعدما بويع للخلافة خاطب ابن بقنة الفار إلى حصن كمارش "قمارش"وأمنه فلما رجع إليه قتله(سنة 431هـ)انظر جذوة المقتبس: 64،والثانية للمراكشي"أن قوما كانوا من مؤيدي إدريس بن يحيى

نهضوا إلى الوزير ابن بقنة فقتلوه وأخرجوا إدريس بن يحيى من السجن وبايعوه وتسمى بالعالي سنة 434هـ . انظر البيان المغرب: 453/2، والحموديون سادة مالقة :34.

قلتُ: وفي كتاب الذخيرة 352/3 المحقق من قبل أستاذنا المرحوم إحسان عباس اسمه ابن مقنة(بالميم) بدلا عن ابن بقنة، وأكبر الظن أنه خطأ في الطباعة.

(5) هو أبو علي الحسن بن الغليظ كان صاحب ابن السراج ومنادمه، وله معه مخاطبات، وهو من شعراء ملوك الطوائف" انظر: الذخيرة : 1/ ،871 المغرب في حلى المغرب: 1/ 435-436، بدائع البدائه: 81 قلت: وقد وَهِمَ- صاحب بدائع البدائه- في اسمه فأسماه الحسين.

(6) الذخيرة : 872/1

(7) انظر النص:(8) ففيه ذكر لاسمها:

لو صُبَّ في كأسي أذًى لشربْتُه على

شَرْطِ أنْ أُسْقَاه من كَفِّ أزْهَرِ

(8) انظر النص: 22

(9) انظر الذخيرة: 881/1

(10) النص : 29

(11)انظر كتاب" الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء : 57

(12) مسالك الأبصار: 17/ 296

(13) الذخيرة: 871/1

(14) السابق نفسه:879/1

(15) السابق نفسه:880/1

(16) السابق نفسه: 874/1

(17) السابق نفسه:880/1

(18) الشعر الأندلسي في عصر الطوائف: 328

(19) دفعني الفضول العلمي إلي البحث عن أشباه ونظائر لابن السراج من شعراء مدينته مالقة فوجدت عددا منهم، كان يسلك سبيل ابن السراج عكوفا وإدمانا، منهم على سبيل المثال، أبوالحسن رضي بن رضا المالقي، وابنه أبو جعفر أحمد بن رضي، وأبو شهاب المالقي.انظر المغرب:1/ 426، 427، 437

(20) المغرب في حلى المغرب: 1/ 424

(21) الذخيرة:870/1

(22)جذوة المقتبس:106

(23) انظر ديوان ابن شهيد: 63، 97

(24) انظر مدائحه لبني حمود في الذخيرة:472/1، 475، 478

(25) جذوة المقتبس:29

(26) يبدو لي أنه لم يصل إلى مسامع ابن بسام مدح ابن السراج لابن بقنة البتة وإلا لكان ذكره في ذخيرته على نحو ما ذكر من شعر لإدريس بن اليماني في مدح ابن بقنة, انظر الذخيرة :352/3

(27) السابق نفسه:876/1

(28) انظر هامش الذخيرة : 1/ 870

(29) جذوة المقتبس:106

(30) السابق نفسه: الصفحة نفسها، وتكرر العبارة نفسها في بغية الملتمس 112:

(31) انظر الذخيرة : 1/ 870،، وتكرر العبارة نفسها في: المغرب:434/1

(32) انظر هامش الذخيرة:870/1

(33) أدباء مالقة: 46

(34) مسالك الأبصار:296،

(35) المحمدون من الشعراء وأشعارهم:463

(36) بدائع البدائه: 81

(37) انظر الذخيرة:871/1

(38) السابق نفسه: الصفحة نفسها

(39) السابق نفسه:16/1

(40) النص:19

(41) الشعر الأندلسي في عصر الطوائف: 328

(42)النص: 9

(43) النص:7

(44) الشعر الأندلسي في عصر الطوائف: 325

(45) السابق نفسه،317

(46) النص: 27

(47) النص: 14

(48) النص: 15

(49) انظر: أمثال العوام في الأندلس:2 / هامش 424

(50) النص: 18

(51) النص: 22

(52) عصر الدول والإمارات(الأندلس):299

(53) النص: 5

(54) النص: 26

(55) الواضح مخالفته لما جرى عليه المشارقة من التكنية عن متاع الرجل بالفول، فجعله للمرأة .انظر : أمثال العوام في الأندلس: 7/2

(56) النص: 12

(57)الذخيرة :871/1

(58) النص: 13

(59) النص: 21

(60) النص:29

(61) انظر على التوالي النصوص:4، 6، 13

(62) النص: 7

(63) النص:22

(64)النص:28

(65) الشعر والناقد:292

(66) النص: 19

(67) النص: 18

(68) النص:16

(69) أفدنا هذا التأويل من قول ابن منظور – رحمه الله– " وعندي أنه لما كان شرب في معنى روى، وكان روى مما يتعدى بالباء عدَّى شرب بالباء" انظر لسان العرب: مادة شرب: مج 4/ج24: 2222

(70) النص: 30

ما تَبَقَّى من شِعْرِ ابن السَّرَّاج المَالَقِي ....

(71) النص:16

(72) النص: 1

(73) النص: 7

(74) النص: 29

(75) النص:22

(76) النص:10

(77) النص: 27

(78) النص: 12

(79) النص: 1

(80) النص: 22

(81) النص: 13

(82) النص:2

(83) النص: 13

(84) النص: 13

(85) النص: 6

(86) النص: 28

(87)النص: 25

(88) موسيقى الشعر: 69

(89) الفصول والغايات:212

(90) القوافي الذلل هي: "الباء والراء والدال والنون والميم والياء والعين" انظر المرشد :58/1

(91) التوشيح هو :أن يكون مبتدأ الكلام ينبئ عن مقطعه, وأوله يخبر بآخره، وصدره يشهد بعجزه " انظر الصناعتين: 382

(92) النص: 13

(93) النص: 29

(94) انظر النص :29

(95) النص: 17

(96) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: 60/1

(97) النص: 9

(98) النص:13

(99) النص:18

المصادر والمراجع

1. **أعلام مالقة، لابن عسكر وابن خميس، تح: عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1999**
2. **أمثال العوام في الأندلس، لأبي يحيى الزجالي القرطبي،تح: محمد بنشريفة،منشورات الدولة المكلفة،المغرب.**
3. **بدائع البدائه، لابن ظافر الأزدي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، بيروت، ط 1992**
4. **بغية الملتمس في تاريج رجال أهل الأندلس، للضبي، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 1 ،1989**
5. **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، لابن عذاري، تح: بشار عواد ومحمود بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1 ،2013**
6. **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، للحُمَيْدي، تح: بشّار عواد ومحمد بشّار، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1 ، 2008**
7. **الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، للويس سيكو دي لوثينا، ترجمة: عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين ، دمشق، ط 1، 1991**

8. ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله، تح: محيى الدين ديب، المكتبة العصرية ، بيروت ،ط 1، 1997
9. ديوان ذي الرمة: قدم له وشرحه: أحمد حسن سبج،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995
10. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام الشنتريني، تح : إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ، 1997
11. الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984
12. الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، هنري بيريس، ترجمة : الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف، القاهرة ، ط 1، 1988
13. الشعر والناقد "من التشكيل إلى الرؤيا"، وهب رومية، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 331، 2006
14. عصر الدول والإمارات "الأندلس"، شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة، ط 1 1989،
15. الفصول والغايات ، للمعري، نشره محمود حسن زناتي، ط 1، 1938
16. كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية ، بيروت، ط 1998
17. لسان العرب، لابن منظور، تح: عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.ط
18. المحمدون من الشعراء وأشعارهم، للقفطي، تح: رياض عبد الحميد مراد، دار ابن كثير، دمشق، ط 2، 1988

19. مختارات من الشعر المغربي والأندلسي، خرَّجها وحققها وقدم لها: إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1986
20. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار جامعة الخرطوم للنشر،ط 4، 1991
21. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 2010
22. معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، د.ت.ط
23. المغرب في حلى المغرب،لابن سعيد الأندلسي، تح:شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 4
24. موسيقى الشعر ، لإبراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت ، ط 4 ، 1972
25. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقَّري، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.ط